

كيف نخدم رابطة أمريكا للغات الحديثة قضية الأدب العالمي

أ.د. عبد النبي اصطيف

لم تكتف رابطة أمريكا للغات الحديثة *Modern Language Association of America* بتنظيم المؤتمرات والندوات عن "الأدب العالمي"، ولم تقنع بتحفيز الاهتمام بهذا المقرر المهم، بل الخطير، في مسعى الولايات المتحدة الأمريكية لفهم "الأخر"، وبخاصة بعد حوادث الحادي عشر من أيلول، بل عمدت عام 2009 إلى إصدار كتاب خاص جمعت فيه الأبحاث الخاصة بتدريس هذا المقرر، وهو "تدريس الأدب العالمي" ⁽¹⁾ *Teaching World Literature*، ويسرت بذلك للمعنيين بتدريسه من الأمريكيين وغيرهم

(1)

Teaching World Literature,
Edited by David Damrosch
(Modern Language Association, 2009);

مادة غنية تعكس خبرة أبرز مدرسيه وآراءهم وطرقهم في حفز اهتمام الطلاب به، بل اهتمام القراء عامة، بوصفه سبيلاً أمثل للتواصل مع التراث الأدبي العالمي، ولاسيما روائعه التي تجاوزت حديّ الزمان والمكان بانتشارها عبر العصور خارج حدود بلدان منشئها، وتخطت عائق اختلاف اللغات والثقافات بتحول لغاتها إلى لغات مشتركة *Lingua-franca* بين الشعوب والأمم أو من خلال الترجمة ما بين لغاتها، وبوصفه نافذة على "عالم الآخر" يطل منها القارئ على تجارب أخيه الإنسان في مكان آخر، وزمان آخر، ويستقي منها العظات والعبر.

وأتبعت كتابها هذا بإصدار سلسلة من الكتب حملت عنوان "مقاربات لتدريس الأدب العالمي *Approaches to Teaching World Literature*"، صدر منها حتى يومنا هذا أكثر من مئة كتاب غطت معظم روائع هذا الأدب الذي أنتجته الإنسانية بمختلف أممها وشعوبها عبر مختلف العصور وفي مختلف قارات الكوكب الأرضي.

واللافت للنظر في هذه السلسلة هو مضيها بعيداً إلى ما وراء دائرة الأدب الغربي، وتخصيص العديد من هذه الكتب لأدب الأمم والشعوب الأخرى البعيدة عن هذا المركز، والتي طالما هُمّشت على يد المقارنين الغربيين ودارسي الأدب العالمي في الغرب. وكذلك فإنها شفعت هذا الاهتمام بالأدب المهمّش، أو أدب الضواحي، أو أدب الأطراف، أو أدب الجنوب، أو أدب العالم الثالث، باهتمام مماثل بالأدب المعاصر في الغرب وسائر العالم، مما يفسح المجال واسعاً أمام القارئ ليكون فكرة أكثر اكتمالاً عن آداب العالم كله، وعبر مختلف العصور.

وهكذا فإن هذه السلسلة – المكتبة تضم إلى جانب الكتب خاصة بالروائع الأدبية الغربية من أمثال ملحمتي *الإلياذة والأوديسة*، لهوميروس، وأعمال يوربيدس و*الإنياذة* ليفرجيل وأعمال أوفيد، وملحمة *بيوولف*، وأعمال كل من جفري تشوسر، ودانتي، وبوكاتشيو، و*أنشودة رولان*، ومسرحيات

شكسبير، ومسرحية *فاوست* لغوته، وغيرها، كتباً خاصة بأعمال غير غربية مثل *حكاية كنجي* اليابانية، ورواية *أشياء تتداعى* لشيونوا أتشيبي، وأعمال من الأدب الكاريبي الأنكلوفوني، وأعمال نجيب محفوظ، وأعمال وأونغوي وأثيونغو. وكذلك فإنها لا تقتصر على الأعمال الأدبية القديمة والوسيلة وأعمال عصر النهضة والتتوير بل تتعداها إلى أعمال معاصرة لكتاب مشهورين من أمثال غونترغراس، وتوني موريسون، ودليلو، ومارغريت آتودو، وغيرها.

ومعيار محرري هذه السلسلة والمشرفين عليها في اختيار الأعمال الأدبية المدروسة هو تجاوز هذه الأعمال حدود الزمان والمكان من جهة، وعائق اللغة والثقافة المدونة بها من جهة أخرى، وتداولها خارج بلاد نشأتها الأصلية، وظفها باستقبال مرحّب خارج حدود هذه البلاد.

ويجمع كل كتاب في هذه السلسلة - المكتبة وجهات نظر مختلفة عن تدريس عمل أدبي عالمي محدد، أو تقليد أدبي (كالشعر الميتافيزيقي) أو كاتب بات يُدرّس على نطاق واسع من جانب أقسام اللغات لطلاب الدرجة الجامعية الأولى، ومعنى هذا أن السلسلة موجهة إلى شريحة واسعة من دارسي الأدب العالمي والآداب القومية المختلفة المترجمة إلى اللغات العالمية، مثلما هي موجهة إلى غير المختصين بهذه الآداب من عامة القراء المثقفين. واللافت للنظر في إعداد كتب هذه السلسلة هو بدء كل منها بمسح واسع النطاق يشمل عدداً كبيراً من مدرّسي العمل الأدبي الخاص بالكتاب المعدّ للتحريير، مما يمكن محرّر الكتاب من تضمين فلسفات هؤلاء المدرسين، ومقارباتهم، ومناهجهم، وأفكارهم، وآرائهم في العمل المدرّس، أي أن كل كتاب ينطوي على حصيلة تدبّر هؤلاء المدرسين من ذوي الخبرة لهذا العمل، مما يجعل أي كتاب في السلسلة كتاباً مصدراً لتدريس العمل الأدبي المختار ودراسته، ويتيح من ثمّ، فرصة نادرة لوضع قارئه في الإطار المرجعي الصحيح لقراءته وفهمه وتذوقه وتقدير مكانته في التقليد الأدبي العالمي.

وعلى أي حال فإن وقفة عجلى على محتويات الكتاب الخاص بنجيب محفوظ، أول أديب عربي يحصل على جائزة نوبل في الآداب عام 1988، توضح طريقة تناول السلسلة للأعمال الأدبية المختارة، وما يقدمه كل كتاب من عون للمدرّس والطالب والقارئ معاً في تدبر هذه الأعمال.

يعد كتاب "مقاربات لتدريس أعمال نجيب محفوظ" *Approaches to teaching the works of Naguib Mahfouz*، الصادر عام 2012 م بتحرير وائل حسن وسوسن معدي درّاج، أول كتاب في السلسلة يُعنى بكتاب عربي قديم أو حديث، ولا شك أن نيل محفوظ لجائزة نوبل كان عاملاً مهماً في اختياره موضوعاً لكتاب في هذه السلسلة. ذلك أن حركة ترجمته إلى مختلف اللغات العالمية، واللغات الحية، قد توسعت بعد نيله الجائزة، فضلاً عن دخوله دائرة البحث العلمي والتدريس الجامعي بوصفه جزءاً من أدب مرحلة ما بعد الاستعمار من جهة، والأدب العالمي من جهة أخرى.

يتألف الكتاب الذي يقع في نحو 235 صفحة من جزأين أساسيين. فأما الأول منهما والمعنون بـ "مواد" *Materials* فهو موجز يتضمن حديثاً عن سنوات محفوظ الأولى، وعن رواياته وقصصه القصيرة، وعن ذكرياته ومقابلاته ومقالاته فضلاً عن صلته بالسينما، وعن ترجمات كتبه، وعن مصادر دراسته التي تهتمّ مدرسيه.

وأما الجزء الثاني والمعنون بـ "مقاربات" *Approaches*، فمؤلف من مدخل للمحررين، يتلوه مجموعة من الدراسات الجادة التي وضعت تحت عنوان "سياقات" *contexts*، تضم: "تدريس حلقة بحث عن نجيب محفوظ" لوائل حسن؛ و"تدريس محفوظ بوصفه أديباً عالمياً" لميشيل هارتمان؛ و"روايات محفوظ والأمة" لتيري يونغ؛ و"سوداوية المثقف الباقية: شحاذ محفوظ والمثقف المصري" لنوري غانا؛ و"وظائف محفوظ" لشادن سراج الدين؛ و"محفوظ وتقليد الليالي العربية" لجستين سانت كلير. والغاية من هذه الأبحاث التي قُصد بها مدرّسو أعماله أساساً هو وضعهم في الموقع الذي يُيسر عليهم تدريس هذه

الأعمال بإتاحة معلومات واستبصارات ورؤى محددة يقدمها دارس ومدرّس من ذوي الخبرة النوعية بأدب محفوظ.

ومتابعة لتحقيق هذا الهدف فقد خصص المحرران قسماً من هذا الجزء لتدريس نصوص معينة شملت روايات "زقاق المدق" و"أولاد حارتنا" و"ميرامار" و"الزعبلاوي" قام بخدمتها مجموعة من الباحثين المعنيين بتدريسها في مختلف الجامعات الغربية، وهكذا ضم هذا القسم سبع مقالات هي: "خيارات حميدة: مستقبل مصر مقابل المصالح البريطانية في زقاق المدق" لباربرا هارلو؛ و"تدريس محفوظ: الأسلوب في الترجمة" لميساء أبو يوسف هايورد؛ و"المسيح والتركة الإبراهيمية في أولاد حارتنا" لنيل مطر؛ و"تدريس رواية الزعبلاوي لمحمود لروجر ألن؛ و"الزعبلاوي: احتفاء بابن الفارض" لمايكل بيرد؛ و"ميرامار" والسوداوية ما بعد الاستعمارية" لإليوت كولا؛ و"ميرامار: بنسيون على تقاطع إنشاءات متنافسة" لهلا حليم.

أما قسم الفهارس والملاحق فقد ضمّ ملاحظات عن المسهمين في الكتاب، وذكرًا للمشاركين في المسح الذي تقدمت الإشارة إليه، وثبتاً بالأعمال المستشهد بها، إضافة إلى المؤشر الذي يساعد مراجع الكتاب على الوصول بسهولة ويسر إلى المعلومة التي يريدها.

وعلى الرغم من تجاهل محرري هذا الكتاب أعمال دارسين ونقاد عرب مهمين نشروا الكثير من الكتب والمقالات باللغة الإنكليزية عن أعمال نجيب محفوظ من أمثال محمد محمود، ورشيد العناني، وحليم بركات، وصبري حافظ، وصالح جواد آل طعمة وغيرهم، والحضور المتواضع للبعد المقارني في تدبر أعمال محفوظ، فإن ما يُحمد لمحرريه هذا التوازن الملحوظ في مادة الكتاب التي تجمع بين إسهام الداخلين **insiders** من الدارسين العرب، والخارجيين **outsiders** من المستعربين، فضلاً عن اهتمامهما بمسألة ترجمة نصوص محفوظ واستكشاف أثرها في تلقيها في الغرب، كما يُحمد للمسهمين جميعهم تقريباً التفاتهم إلى دراسة النصوص، وهو أمر لم تعد

أقسام اللغات (العربية والأجنبية) في الجامعات العربية تُعنى به العناية المطلوبة، مما يُضعف مقدرة خريجها على مواجهة النصوص الأدبية، وهو أمر ملاحظ بكل أسف في نتاج طلبة الدراسات العليا، ومدرسي المرحلة الثانوية الذين يقفون عاجزين عن تدبر النصوص الأدبية العربية والأجنبية: قراءة وفهماً مستوعباً لدلالات النص، وتذوقاً، ونقداً، وتدريساً، مما يترك أثره السلبي على تشجيع الناشئة على قراءة الأدب عامة، والحديث منه على وجه الخصوص.

مهما كان الأمر فإن في هذا الكتاب ما هو جدير بالتأسي من جانب مدرسي الأدب العربي القديم والحديث، ولعل في هذه القراءة العجلى لمحتوياته ما يحفز على إعداد كتب مساعدة على دراسة نصوص الأدب العربي وتدرسيها وقراءتها وتذوقها تسهم في الارتقاء بتلقي هذه النصوص في صفوف قرائه من الطلاب العرب وغيرهم من محبي الأدب والمغرمين بقراءته.

